٤- سورة النساء

سورة العدل والرحمة بالضعفاء.

(١) تنبيهات هامة قبل السفر مع السورة:

١- رغم أن اسمها سورة النساء، إلا أنها ليست فقط عن النساء، بل هي عن كل المستضعفين في الأرض: ١- النساء. ٢- اليتامى. ٣- العبيد. ٤- السفهاء ٥- الورثة الضعفاء. ٦- المظلوم. ٧- الخائف. ٨- المستضعف في الأرض. ٩- الأقليات، كل من يمكن أن يكون عرضة للاستغلال.

٢- هذه السورة ليست لذرف الدموع على هؤلاء، ولا حتى للحث على التعاطف معهم، بل هي لتغيير وضعهم.

٣- تغيير وضع هؤلاء لا يحدث بالمواعظ ولا بالنوايا الحسنة فقط، بل بالقوانين، بتغيير الأوضاع التي قادت إلى استغلال ضعف هؤلاء، ولأن الاستغلال الأكبر كان يأتي عن طريق جعل هؤلاء في حالة حاجة "مادية"، فإن أول خطوة كانت في كسر هذا الوضع وتغييره، وبعد أن كانت المرأة عند أغلب العرب تورث كما يورث المتاع عندما يتوفى عنها زوجها، أصبحت شريكًا في الإرث كما الآخرين، وسيتغير بذلك حساب إرث الجميع.

أول دروس إزالة الاستضعاف: توفير الاستقلال الاقتصادي، الكفاية الاقتصادية على الأقل.

٤- سيتجاوز ذلك الأمر الزوجة إلى: البنت والأخت أيضًا، وحتى صغار الذكور كانوا لا يرثون سابقًا، الآن الأمر اختلف.

٥- لم يعد من السهل استغلال وضع المرأة أو اليتيم ما دام قد أصبح شريكًا، فقد سماها القرآن حدود الله، ثم توعد من يتعداها بالعذاب المهين.

* **سؤال:** لماذا الحديث عن المرأة يكاد يهيمن على سورة تتحدث عن المستضعفين في الأرض؟

لأنها ببساطة مظلومة المظلومين، هناك طبقات أو فئات كثيرة تتعرض للظلم، رجالًا ونساء، لكن النساء في هذه الطبقات تتعرض لظلم مركب، ظلم يعم فئتها ككل، وظلم يخصها يضاف إلى الظلم الأول.

* **تقول لنا السورة** إن سبيل الله وسبيل المستضعفين واحد، وأن تغيير وضع هؤلاء قتال في سبيل الله: "وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ" (٧٥)، قال الشوكاني في فتح القدير:"أي: ما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وسبيل المستضعفين حتى تخلصوهم من الأسر وتريحوهم مما هم فيه من الجهد، ويجوز أن يكون منصوبًا على الاختصاص: أي وأخص المستضعفين، فإنهم من أعظم ما يصدق عليه سبيل الله، ... والمراد بالمستضعفين هنا: من كان بمكة من المؤمنين تحت إذلال الكفار".أ.هـ.

* **تفاجئك السورة** في الآية (٩٧) بأن المظلوم قد يكون ظالما أيضًا، تسمعك حوارًا بين الملائكة وبين فئة "ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ" هؤلاء لم يظلموا سواهم، بل ظلموا أنفسهم، تقول لهم الملائكة: فِيمَ كُنْتُمْ؟! ظلم الآخرين مفهوم لأنه غالبًا ينبع من الطمع والجشع، لكن أن تظلم نفسك!حقًا فِيمَ كُنْتُمْ؟! فيرد عليهم هؤلاء: كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ، كانوا مظلومين، فيأتي رد الملائكة المنطقي صادمًا: أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً؟!

يصدمنا الرد، نعم، أرض الله كانت واسعة، لكن عقولنا في أحيان كثيرة تكون أضيق من أن تستوعب هذا، فتتمسك بما يجعل الأرض ضيقة، ويجعل خياراتك قليلة، لقد كنت ظالما لنفسك عندما استسلمت لظلمهم لك، الظلم أنواع، والبقاء في مكان تكون فيه مظلومًا ظلم.

الأمر صادم، مظلوميتك التي ربما كانت "عذرًا" تبرر به أمورا كثيرة قد تكون دليلًا ضدك.

* **تقول السورة** للذين آمنوا أن يكونوا قوامين بالقسط ولو على أنفسهم: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ" (١٣٥)، فالعدل هو الذي يزيل الاستضعاف في الأرض.

* **وعندما تنتهي السورة** فهي تنتهي بحكم آخر من أحكام الميراث، في آية الكلالة، كما لو أنها تقول أن كل الحديث عن القسط والعدل يجب أن يقيد بقانون، يجب أن يقنن، يجب أن يجد ما يحميه ويحققه.

(٢) رسائل السورة:

١- العدل مع الضعيف أرقى أنواع العدل:

شيء طبيعي أن يعدلَ الإنسانُ مع زملائه وشركائه في العمل، ومع كل الناس حيث يراه الناس ويشهدوا عليه، أما أن يعدل مع الضعفاء، مع النساء داخل البيوت، حيث لا يراه إلا الله، ولا يملك أحد أن يحاسبه غير ضميره، خوفًا من الجبار، فهذا أرقى أنواع العدل، عدل القوي مع الضعيف، عدل من يخاف الله أكثر ممن يخاف الناس.

٢- أرني عدلك في بيتك:

في سورة المستضعفين، وقد اختار الله نوعًا من أنواع المستضعفين وهم النساء ليكونوا اسمًا لهذه السورة، وكأن الله يقول لك: قبل أن أستأمنك على الأرض، أرني عدلك في بيتك، فلو عدلت ورحمت في بيتك فستكون مستأمنًا للعدل في المجتمع، إن العدل مع النساء في البيوت نموذج يقاس به عدل المسلمين في امتحان الاستخلاف على الأرض.

٣- الاسلام وحقوق النساء:

في تسمية السورة باسم (النساء) إشارة إلى أن الإسلام كفل للمرأة كافة حقوقها، ومنع عنها الظلم والاستغلال، وأعطاها الحرية والكرامة، وهذه الحقوق كانت مهدورة في الجاهلية الأولى وفي كل جاهلية.

فهل سنجد بعد هذا من يدّعي بأن الإسلام يضطهد المرأة ولا يعدل معها؟

إن هذه الادّعاءات لن تنطلي على قارئ القرآن بعد الآن، سيجد أن هناك سورة كاملة تتناول العدل والرحمة معهنَّ، وقبلها سورة آل عمران التي عرضت فضائل مريم وأمها امرأة عمران، ثم سميت سورة كاملة باسم "مريم".

٤- اقرأ سورة النساء بنية تطبيق العدل في حياتك:

اقرأ سورة النساء بنية تطبيق العدل في حياتك، مع زوجتك، وأولادك، ووالديك، ومع جيرانك، وكل مجتمعك، وكلما أحسست بأن العدل قد نقص من حياتك فعليك أن تقرأ سورة النساء: سورة العدل وأن تعرض نفسك على آياتها.

تعالوا ننوي الآن وأثناء قراءتها ودراستها أن نعدل مع كل الناس خاصة مع الضعفاء، تعالوا نعاهد الله على ذلك.

٥- العدل من أول آية:

تبدأ السورة بداية واضحة في توضيح هدفها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء...﴾ (١)، فهذه الآية تخبرنا بأن الأصل الإنساني واحد ﴿مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ فلم الظلم؟؟ كما تبيّن الآية أن النساء قد خلقن من الرجال، وفي هذا دعوة صريحة للرأفة بهنّ .

٦- العدل مع اليتامى:

ثم تحذّر الآية الثانية من ظلم نوع آخر من المستضعفين: ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ وَلاَ تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (٢)، ثم بعد ذلك يأتي قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلاَّ تُقۡسِطُواْ فِى ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ (٣)، كان العرب

يربّون اليتيمة فينفقون عليها من مالها، فإذا كبرت وأراد أن يتزوجها وليها فقد يبخسها في مهرها، ولا يعطيها مهرًا مثل ما يعطي غيرها من النساء، فأتت الآية لتدافع أيضًا عن تلك الفئة المستضعفة من النساء.

٧- شرط إباحة تعدد الزوجات:

العدل ثم العدل ثم العدل وإلا فواحدة: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ...﴾ (٣).

٨- المهر حق الزوجة مع طيب النفس:

ثم تأتي الآية الرابعة لتقرر حق الزوجة في المهر، وأهمية أن يعطيها الزوج مهرها "نحلة" أي عن طيب نفس: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَاءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ (٤).

فانظر أخي المسلم إلى هذه الرحمة المتبادلة بين الزوجين يرسّخها الإسلام في آية المهر، فالمطلوب من الرجل طيب النفس في العطاء، أما المرأة فهي مخيّرة بين أن تحتفظ بحقّها أو أن تطيب نفسها ببعضه إكرامًا لزوجها.

آية رائعة في الجمع بين المطالبة بحق الزوجة وبين العلاقة المتبادلة في العطاء عن طيب النفس.

٩- العدل حتى مع السفهاء:

وتمضي الآيات لتحقق العدل مع فئات المجتمع المختلفة، حتى السفهاء من الناس: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (٥)، والسفهاء هم الذين لا يحسنون إدارة أموالهم، بحيث لو أنه ترك معهم لتبدد بسرعة، حتى هذه الفئة من الناس لا يجوز أن تظلم أو أن تستغلّ، كما يفعل البعض بحجة سفاهة صاحب المال.

١٠- حق اليتامى في المال عند سن الرشد:

ثم تأتي الآية السادسة أيضًا لتقرر حق اليتامى في مالهم إذا بلغوا سن الرشد: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟﴾ (٦).

١١- حق المرأة في الميراث:

والآية السابعة تقرّر حق المرأة في الميراث الذي حرمت منه في الجاهلية: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (٧).

١٢- احفظ أولادك من بعدك بالعدل:

والآية التاسعة تصحح مفهومًا سائدًا عند الناس: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٩).

فكثير من الناس يأكلون الحرام ويعتدون على غيرهم بحجة أنهم يخافون على أولادهم بعد وفاتهم، لكن السورة تقول لك العكس: اعدل مع غيرك وقل قولًا سديدًا يحفظ لك الله أولادك.

١٣- احذر الظلم:

ثم تأتي الآية العاشرة لتحذّر من الظلم تحذيرًا شديدًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (١٠).

١٤- الميراث بالعدل:

وبعد ذلك تأتي أحكام الميراث للأولاد والبنات في الآية (١١): ﴿يُوصِيكُمُ ٱللهُ فِي أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ...﴾، هذا هو العدل لأن تقسيم الإرث ليس على أساس الأفضلية، وليس بنسبة متساوية بين الذكر والأنثى، بل على أساس الواجبات والمسؤوليات لكل واحد منهما.

فالرجل عنده مسؤولية النفقة على بيته وزوجته، بينما المرأة إذا تزوجت فعلى زوجها أن ينفق عليها وتبقى لها حصتها من الإرث.

١٥- العدل في الميراث بين الزوجين:

ثم الآية (١٢) تفصل الميراث بين الزوجين أيضًا بالعدل: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾.

١٦- تلك حدود الله:

ثم تأتي آيتان (١٣-١٤) محوريتان في الترغيب بالعدل والترهيب من الظلم والتعدي على حدود الله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللهِ وَمَن يُطِعِ ٱللهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ وَمَن يَعْصِ ٱللهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

١٧- فماذا لو وقع الظلم من البشر؟

تأتي الآية (١٧) لتجيب على السؤال مباشرة وتفتح باب التوبة: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

١٨- وعاشروهنّ بالمعروف:

وتعود الآيات إلى الحديث عن العدل مع النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ (١٩)، فهذه الآية تحذّر من إرث النساء كرهًا، ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ (١٩).

وليس معنى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أن لا يظلم الرجل زوجته فحسب، بل إن العلماء قالوا بأن المعاشرة بالمعروف هي أن يتحمّل الرجل الأذى من زوجته ويصبر عليها ويرق قلبها حتى يذهب عنها غضبها، كما كان يفعل النبي ﷺ.

وتمضي الآية لتقول: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (١٩).

١٩- العدل والواقعية في التعامل مع المرأة:

ثم تأتي الآية (٢٠): ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾، هذه الآيات تجمع بين العدل والواقعية في التعامل مع المرأة، فأولًا: عاشروهنّ بالمعروف، ثم لو كرهتها فاصبر، فإذا لم تقدر وأردت استبدال زوجة مكان زوجتك فإياك أن تأخذ من مهرها شيئًا، حتى لو كان قنطارًا أي مالًا كثيرًا.

والآية شديدة في هذا المعنى: ﴿أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾، لماذا ذكر البهتان هنا؟

لأن العرب كانوا إذا أرادوا استبدال زوجتهم رموها بفاحشة (بهتانًا) حتى يدفعوها إلى رد كل ما يريدون من المهر، فوبّختهم الآية (٢٠) بقوّة.

٢٠- الميثاق الغليظ:

ثم تأتي آية من أروع الآيات القرآنية في ترقيق القلوب بين الزوجين من ناحية، وفي تغليظ وتعظيم عقد الزواج من ناحية ثانية: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ (٢١)، وكلمة (أفضى) تدلّ على عمق العلاقة بين الزوجين، فتذكّر الزوج بعشرات الصور الجميلة قبل أن تسوء العلاقة مع زوجته، في الليل والنهار في البيت وفي النزهات. وأما الميثاق الغليظ فهو عقد النكاح أيها الرجل، عندما وضعتَ يدك بيد وليّ زوجتك وقلت: "على كتاب الله وسنة رسوله". فهنا تحذير شديد لكل زوج من أن ينقِض هذا العهد الذي يُشهد الله عليه، والملفت أن عبارة ﴿مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ لم ترد في القرآن إلا ثلاث مرات:

مرة مع الأنبياء، الذين أوفوا بهذا الميثاق الغليظ (سورة الأحزاب، الآية ٧).

ومرّة مع بني إسرائيل، الذين نقضوا الميثاق (سورة النساء الآية، ١٥٤).

والمرة الثالثة هي معك أيها الزوج عند عقد القران.

٢٠- صور أخرى لتكريم الإسلام للمرأة:

لقد ظلمت المرأة كثيرًا عبر التاريخ فجاء الإسلام وردَّ لها حقوقها، فمن مظاهر الظلم التي كانت موجودة أن يرث الرجل كل ثروة أبيه، ويرث مع المال كلّ زوجاته -إلا أمه- إذلالًا لهنّ، فتأتي الآية (٢٢): ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ لتنهى عن هذه الفعلة الشنيعة.

٢١- الزواج من العبيد:

وتتابع الآيات وتتحدث عن حقّ آخر هو حق الزواج من العبيد في الوقت الذي لم يكن هناك قانون يلتفت لحقوقهم، فلو كان الرجل غير قادر على الزواج من المحصنات أي الحرائر، وأراد الزواج بأمة فإن الآية تقول: ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾، ولم تقل الآية (سيدهنّ)، فالقرآن سمّى السيد بالأهل ليحثّ على الرحمة بهنّ ويراعي مشاعرهنّ، ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ (٢٥)، أي ادفعوا لهن مهورهن عن طيب نفس، ولا تبخسوهن حقهن لكونهن إماء مملوكات.

٢٢- الحفاظ على السمعة:

وبعد ذلك تخاطب الآية النساء: ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾، وتحذرهن من العلاقات غير الشرعية مع الرجال (تحت عنوان المصاحبة) فالسورة تتحدث عن رحمة ورأفة الإسلام بالمرأة بأن لا يكون لها صديق عاشق، لحماية سمعتها وحياتها في المستقبل.

والنساء في هذه الحالة يشكلن نوعًا آخر من المستضعفين، لأن قلوبهن رقيقة وعاطفتهن قوية، فيا أيتها البنات، أنتن غاليات عند الله تعالى والإسلام يحمي مشاعركن من أن يعبث بها شاب لاهٍ غير مسؤول.

٢٣- تخفيف العقوبة على الضعفاء:

ما زلنا مع الآية (٢٥) والتي تنص على مظهر رائع من مظاهر عدل الإسلام ورحمته مع الضعفاء: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾، وهذا عكس ما نرى في القوانين الرومانية والهندية القديمة في تشديد العقوبة على الطبقات المتدينة، وفي حين أن الإسلام يرأف بالطبقات الضعيفة ويخفف عنها العقوبة.

٢٤- رحمة الله بالأمة المحمدية وبالبشرية كلّها:

ثم تأتي الآيات (٢٦، ٢٧، ٢٨) لتذكر رحمة الله ورأفته بالأمة المحمدية وبالبشرية كلّها، وهذا أيضًا من باب الرحمة بالضعفاء، لأن الآية تقول: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾.

اقرأ الآيات، وتأمل كيف يبين لنا الله رأفته وعدله، ويذكرنا بضعفنا في وسط الآيات الكثيرة التي تدعو للرأفة بالضعفاء: ﴿يُرِيدُ ٱللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ وَٱللهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ۞ يُرِيدُ ٱللهُ أَن يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ ٱلإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾.

٢٤- العدل في الأموال والأنفس:

وبعد أن تناولت الآيات مظاهر العدل في مجالات مختلفة (المرأة ثم الأسرة ثم المجتمع)، تنتقل إلى العدل في التجارة والمعاملات المالية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُمْ بِٱلْبَٰطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾.

٢٥- الحزم مع العدل:

وتأتي الآية (٣٤) لتنظّم الضوابط داخل الأسرة المسلمة، لأن الرجل قد يدفعه حرصه على العدل مع الزوجة إلى التراخي وعدم الحزم، وقد يترك زوجته تفعل أشياء خاطئة، فتعطينا الآية صورة من صور التوازن في الإسلام: الحزم مع العدل: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَاء بِمَا فَضَّلَ ٱللهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوٰلِهِمْ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللهُ وَٱللَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾. فالمرأة مأمورة شرعًا بطاعة زوجها لتستقيم الحياة داخل البيت، فإذا أخطأت المرأة وكان الزوج يعطيها حقّها، فلا ينبغي أن يتركها تفعل ما تشاء، بل لا بد من الحزم هنا، وعدّدت الآية مراتب التأديب: الوعظ، ثم الهجر في المضاجع، ثم الضرب.

٢٦- لا تظلم نفسك:

ثم تعود آيات السورة للحديث عن العدل فتحذّر من الشرك بالله: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا﴾ (٣٦) لأن أعظم الظلم الشرك كما ورد في سورة لقمان ﴿إِنَّ ٱلشّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ثم توزّع الآية (٣٦) العدل والإحسان على فئات المجتمع المختلفة وخاصة الضعيفة منها: ﴿وَبِٱلْوٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أي الوالدين عند الكبر، ﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّٰحِبِ بِٱلجَنْبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾.

٢٧- إن الله لا يظلم مثقال ذرة:

بعد كل هذه الآداب يذكّرنا تعالى بفضله وكيف أنه يعاملنا بالفضل قبل العدل، فكيف يأبى الإنسان أن يتعامل مع غيره بالعدل: ﴿إِنَّ ٱللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٤٠).

والآية التي بعدها تذكرنا أن النبي ﷺ سيشهد على عدلنا يوم القيامة: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلاء شَهِيدًا﴾ (٤١)، فكأن الله يقول للظالم: إحذر فسوف يشهد النبي على ظلمك، ويقول للعادل: افرح، فسوف يشهد حبيبك ﷺ على عدلك.

ثم تأتي آية محورية تمثّل قلب السورة: ﴿إِنَّ ٱللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ ٱلامَٰنَٰتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ إِنَّ ٱللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ ٱللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٥٨).

٢٨- طاعة الله والرسول أساس العدل:

وهذا المعنى واضح في الآية (٥٩) التالية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ أَطِيعُواْ ٱللهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلأمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْء فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

فالاحتكام إلى شرع الله وردّ كل خلاف إلى كتاب الله وسنة رسوله هما صمّام العدل والرحمة في المجتمع، وإن بدا فيهما غير ذلك، كما هو واضح في الآية (٦٤)، فإذا عصى المؤمن أوامر الله ورسوله فيكون قد ظلم نفسه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾.

٢٩- القتال للحفاظ على حقوق المستضعفين:

وتتابع الآيات إلى أن تصل إلى ربع حزب كامل يتحدّث عن القتال من أول الآية (٧٤): ﴿فَلْيُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾، فما علاقة هذا الربع بالعدل؟ إن استمرار العدل في المجتمع يتطلب وجود قوّة لتحافظ على حقوق المستَضعفين، فالقتال في الإسلام ليس للعدوان وليس هدفًا لذاته، وإنما هو وسيلة لهدف، ودليل ذلك الآية (٧٥): ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾.

٣٠- خطر النفاق:

وبعد ذلك يأتي ربع حزب كامل يتحدث عن خطورة المنافقين على المجتمع: ﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾.

وسبب ذكر المنافقين هو التنبيه إلى أن انتشارهم في المجتمع هو أعظم سبب لتضييع العدل وتضييع حقوق الضعفاء، فهم يفسدون المجتمع ويضيّعون قيمه وخاصة قيمة العدل.

٣١- العدل حتى أثناء القتال:

وبعد ذلك تصل بنا الآيات إلى قمة العدل: العدل حتى أثناء القتال ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ إنها الأخلاق الحربية التي كان الإسلام رائداً في الدعوة إليها.

٣٢- البعض يظلم نفسه:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ (٩٧).

٣٣- القصر في الصلاة من رحمة الله بنا:

وبعد ذلك ينبهنا الله تعالى إلى رحمته التي يعامل بها خلقه وعباده، فتأتي الآية (١٠١) لتتحدّث عن القصر في الصلاة وصلاة الخوف: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ...﴾، فالله تعالى يلفت انتباهنا في هذه الآية إلى رحمته بنا لنرحم الناس.

٣٤- العدل مع الأقليات غير المسلمة:

وأخيرًا نصل إلى العدل مع الأقليات غير المسلمة في المجتمع المسلم، وذلك أن أحد المسلمين في عهد النبي ﷺ سرق واتّهم يهوديًا، علِم مسلم آخر بالأمر وشهد زورًا حتى لا يتعرّض المسلم للحد وذلك تحت حجة الأخوة.

فنزلت الآيات تخاطب المسلمين خطابًا شديدًا: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ (١٠٥)، ثم تشتدّ اللهجة على الظالم: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (١١٢)، فشهد الله تعالى من فوق سبع سماوات ببراءة اليهودي مما نسب إليه ليرسخ في الإسلام هذه القواعد الحضارية في التعامل مع الديانات الأخرى.

٣٥- عودة للنساء:

في أواخر السورة نرى عودة لبعض الأحكام المتعلقة بالنساء مع التركيز على ضوابط العدل والرحمة: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَاءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَاءِ﴾ (١٢٧)، ونرى دعوة أخرى إلى العدل عند تعدد الزوجات: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ (١٢٩)، أي إلى واحدة منهم: ﴿فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ (١٢٩)، لا هي متزوجة ولا مطلّقة، فهذا ظلم لها وسوء استعمال للصلاحية التي في يد الرجل.

٣٦- كونوا قوّامين بالقسط:

لذلك نرى الآية (١٣٥) تذكرنا بهدف السورة بقوّة قبل ختامها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

وقوامين هي لفظة مبالغة تعني: شديدي القيام بالعدل، والآية تحذّرنا من اتباع الهوى لأنه عامل خطير في التسبب بظلم الناس.

٣٧- لا تكونوا مثل هؤلاء:

ثم تنتقل السورة إلى انتقاد بعض أخطاء أهل الكتاب المتعلّقة بموضوع السورة وذلك لتحذير المسلمين من أفعالهم ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ (١٦٠)، بسبب ظلمهم ضيّق الله عليهم الحلال.

فماذا كانت مظاهر ظلمهم: ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۞ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ (١٦١).

وتأتي بعدها آيتان شديدتان في التحذير من الظلم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۞ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ (١٦٨-١٦٩).

(٣) أسماء السورة:

١- **الاسم التوقيفي:** النساء.

٢- **سبب التسمية:** كثرة ما ورد فيها من الأحكام التي تتعلق بهن بدرجة لم توجد في غيرها من السور.

٣- **أسماء أخرى اجتهادية:** "سورة النساء الكبرى" مقارنةً لها بسورة الطلاق التي تدعى "سورة النساء الصغرى".

(٤) جدول السورة:

ترتيبها:	في المصحف: ٤	في النزول: ٩٢	في الطول: ٢		
تصنيفها:	مدنية: ٢٨/٣	السبع الطوال: ٧/٣			
عدد:	الآيات: ١٧٦	الصفحات: ٢٩,٥	١,٥ جزء	٣ حزب	١٢ ربع
موقعها:	بدايتها في الجزء: ٤	نهايتها في الجزء: ٦			
فاتحتها:	النداء: ١٠/١	يا أيها النَّاس: ٢/١			

(٥) من خصائص السورة (مما تتميز به السورة عن غيرها):

هي الأكثر إيرادًا لأسماء الله الحسنى في أواخر آياتها (٤٢ مرة)، وتشمل هذه الأسماء: العلم والحكمة والقدرة والرحمة والمغفرة، وكلها تشير إلى عدل الله ورحمته وحكمته في القوانين التي سنّها لتحقيق العدل.

(٦) مقصد السورة: العدل والرحمة بالضعفاء.

(٧) علاقة سورة النساء بسورتي آل عمران والبقرة:

بعد أن حدّدت سورة البقرة مسؤولية المسلمين عن الأرض وعرضت منهج الاستخلاف، جاءت سورة آل عمران لتدعو إلى الثبات على المنهج القويم وعلى المسؤولية الملقاة على عاتق المؤمنين، ثم جاءت سورة النساء لتعلمنا أن المستأمن على الأرض لا بد أن يكون على قدر من العدل والرحمة تجاه الضعفاء الذين استؤمن عليهم، وكأن الصفة الأولى التي تميّز المسؤولين عن الأرض هي العدل.

(٨) خرائط السورة: ملف الخرائط.

(٩) موضوعات السورة: آخر الملف.

(١٠) علمتني سورة النساء:

١- **علمتني سورة النساء** أن الإسلام لم يظلم المرأة كما زعموا، بل كَرَّمَهَا وَشَرَّفَهَا وَرَفَعَهَا، وَجَعَلَ لها مكانة لَمْ تَنْعَمْ بِهِ امْرَأَةٌ فِي أُمَّةٍ قَطُّ، وها هي سورة من أطول سور القرآن اسمها "النساء".

٢- **علمتني سورة النساء** أن الناس سواسية، لا فرق بين أبيضهم وأسودهم إلا بالتقوى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (١).

٣- **علمتني سورة النساء** أن المهر حق للمرأة، يجب على الرجل دفعه لها كاملًا: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ (٤).

٤- **علمتني سورة النساء** أنه قد جَاءَ الإِسْلامُ وَالْمَرْأَةُ لَا تَرِثُ شَيْئًا بَلْ تُوْهَبُ وَتُوَرَّثُ، فأعطاها حقها: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ (٧).

٥- **علمتني سورة النساء** أن كل من تطلع وتشوف إلى ما حضر بين يدي الإنسان ينبغي له أن يعطيه منه ما تيسر: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (٨)، فالقرآن يهتم بمشاعر الإنسان في كل موقف.

٦- **علمتني سورة النساء** أَنَّ الْحِفَاظَ عَلَى الأُسْرَةِ والأَوْلَادِ إِنَّمَا يَكُونُ بِتَقْوَى اللهِ والْقَوْلِ السَّدِيدِ: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا

مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٩)، وهذا عكس ما يفعله البعض من أكل الحرام والظلم لكي يضمن مستقبل أولاده كما يزعم.

٧- **علمتني سورة النساء** أن الله تعالى أرحم بخلقه من الوالد بولده، حيث أوصى الوالدين بأولادهم: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ (١١)، فعلم من ذلك أنه أرحم بهم منهم، كما في الحديث: "لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا" (البخاري ٥٩٩٩، أي المرأة التي ضاع طفلها في وسط السبي، فصارت حائرةً مضطربةً، تبحث عنه حتى وجدته، فأخذته ووضعته على ثديها وهي تبكي، وروحها تكاد تفارق نفسها).

٨- **علمتني سورة النساء** أن اللهَ لَمْ يَرْضَ فِي قِسْمَةِ الْمِيرَاثِ بِتَقْسِيمِ أَحَدٍ، وَلَمْ يَتْرُكْهَا لِلْهَوَى أَوِ التَّشَهِّي، وَإِنَّمَا قَسَمَهَا هُوَ بِنَفْسِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ (١١).

٩- **علمتني سورة النساء** أَنَّ صَاحِبَ الذَّنْبِ وَلَوْ أَتَى كَبِيرَةً مِنَ الْكَبَائِرِ فَإِنَّ بَابَ الرَّحْمَنِ أَمَامَهُ مَفْتُوحٌ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعُودَ لِرَبِّهِ، وَأَنْ يَتُوبَ إِلَيهِ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ (١٧).

١٠- **علمتني سورة النساء** أن احذر تأخير التوبة: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ (١٨).

١١- **علمتني سورة النساء** أن أوثق رباط مقدس هو عقد الزوجية: ﴿وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (٢١)، ولذا يجب المعاشرة بالمعروف أو التسريح بإحسان، وعدم الظلم والاعتداء والإهانة والتحقير، لأنها إنسان مكرم.

١٢- **علمتني سورة النساء** أن الإنسان ضعيف: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (٢٨)، فلا تغتر بنفسك، وتلقي بها في مواطن الشهوات، فمن حام حول الحمى أوشك أن يرتع فيه.

١٣- **علمتني سورة النساء** أن اجتناب الكبائر فيه خير كبير للمسلم ولو أذنب وتلطخ بالصغائر: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (٣١).

١٤- **علمتني سورة النساء** أن لا أُشقي نفسي بالنظر لفضل منحه الله لغيري: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (٣٢)، وأرضى بقسمة الله لي.

١٥- **علمتني سورة النساء** ألا اعتدي على زوجتي بمبرر القوامة، فالله لما ذكر قوامة الرجل على المرأة، وحق الزوج في تأديب امرأته الناشز؛ ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ (٣٤)، فذَكَّرَ بعلوه وكبريائه جل جلاله ترهيبًا للرجال؛ لئلا يعتدوا على النساء، ويتعدوا حدود الله التي أمر بها.

١٦- **علمتني سورة النساء** أن إرادة الخير لها تأثير كبير في نجاحه: ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ (٣٥).

١٧- **علمتني سورة النساء** أن أبر والديَّ، وأصل رحمي، وأعطي المحتاج، وأكرم جاري: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ... ﴾ (٣٦).

١٨- **علمتني سورة النساء** أن البخل درجات وأعظمه: البخل وأمر الناس به وكتم الخير والفضل الذي ساقه الله: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (٣٧).

١٩- علمتني سورة النساء أن الله يجزي على مثقال الذرة بل ويضاعف ذلك، ويجزي المؤمنين أجرًا من لدنه لا يخطر على بالهم البتة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٤٠).

٢٠- علمتني سورة النساء أن لا أمدح نفسي بما ليس فيّ، وأن لا أغتر بمدح غيري لي: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ (٤٩).

٢١- علمتني سورة النساء وجوب أَدَاء الْأَمَانَاتِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ (٥٨).

٢٢- علمتني سورة النساء أن عَلَى الْأُمَّةِ قَاطِبَةً أَنْ تُحَكِّمَ كِتَابَ اللهِ بَيْنَهَا، وَأَنْ تَرْضَى بِحُكْمِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْ تَطِيبَ نَفْسًا بِذَلِكَ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٦٥).

٢٣- علمتني سورة النساء أن من طبق ما سمعه من العلم فإنه موعود بأربع جوائز منها تثبيت العلم الذي حفظه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ (٦٦).

٢٤- علمتني سورة النساء أن الطَّاعَة سَبَبٌ لِلنَّعِيمِ الدَّائِمِ، سَبَبٌ لِمُرَافَقَةِ الأَنْبِيَاءِ والصَّالِحِينَ: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٦٩).

٢٥- علمتني سورة النساء أن الله أمر المؤمنين بأخذ الاحتياطات اللازمة في الحرب، فإن السنن الكونية لا تحابي أحدًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ (٧١).

٢٦- علمتني سورة النساء ألا أخاف الشيطان، فهذا الشيطان في قبضة الله وكيده ضعيف، نعم ضعيف، قال الذي خلقه: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (٧٦).

٢٧- علمتني سورة النساء أن الكل سيموت: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ (٧٨)، سَيَمُوتُ الْكَبِيرُ والصَّغِيرُ، الصَّحِيحُ والْمَرِيضُ، الشَّرِيفُ والْوَضِيعُ، ولذا وجب الاستعداد.

٢٨- علمتني سورة النساء أن الله لا يؤاخذ بالخواطر؛ لكن إذا تحول الخاطر إلى إرادة أخذ به: ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ (٨١).

٢٩- علمتني سورة النساء أن أرد التحية بأحسن منها أو مثلها: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ (٨٦).

٣٠- علمتني سورة النساء ألا أكون قاسيًا على العصاة والمقصرين: ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ (٩٤)، فالإنسان يستشعر –عند مؤاخذته غيره– أحوالًا كان هو عليها تساوي أحوال من يؤاخذه، أو أكثر.

٣١- علمتني سورة النساء أن الهجرة في سبيل الله رغم المشاق والمتاعب لكنها خروج من الضيق إلى السعة: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ (١٠٠).

٣٢- علمتني سورة النساء أن نية المؤمن أبلغ من عمله: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (١٠٠)، أي ثبت، ويدخل في ذلك المجاهد وطالب العلم وكل من نيته حسنة.

٣٣- علمتني سورة النساء أن علاقة المؤمن بربه لا بد أن تكون في كل حال، ولا يسقطها حال أبدًا، حتى في أحلك الظروف –وقت الخوف– واشتداد النزال في المعركة، ولذلك شرعت صلاة الخوف: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ

فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ ... ﴾ (١٠٢).

٣٤- علمتني سورة النساء أن العصبة المؤمنة مثلما تجد العناء في الجهاد فكذلك العدو: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾، وإنما تميزت عصبة الحق برجاءهم في الله وتعلقهم به: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ (١٠٤)، ومن علق رجاءه بالله فلن يخيب.

٣٥- علمتني سورة النساء أن لا أجعل من نفسي لعبة في يد الشيطان: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١٢٠).

٣٦- علمتني سورة النساء معنى العدل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ... ﴾ (١٣٥).

٣٧- علمتني سورة النساء أن الذي يجالس أصحاب الأهواء والمجرمين والظلمة إن لم تكن له نية في تغييرهم أو كسبهم فلا يجوز له مجالستهم، فإن جالسهم فهو مثلهم: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ (١٤٠).

٣٨- علمتني سورة النساء أن الشكر قرين الإيمان، والله من أسمائه الشكور، والمؤمن كثير الشكر لربه، والكافر والمنافق جحود كفور لكل نعمة: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ (١٤٧).

٣٩- علمتني سورة النساء أن المظلوم يجوز له التحدث عمن ظلمه في المحاكم والصحف والقنوات والمحافل، وتبيين ذلك للرأي العام: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ (١٤٨)، وفي الحديث: "لَيُّ الْوَاجِدِ ظُلْمٌ يُحِلُّ عِرْضَهُ وَعُقُوبَتَهُ".

٤٠- علمتني سورة النساء أن الظلم يوجب حرمان النعم وزوالها: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ (١٦٠).